واشنطن تنهي الحرب وتترك بلداً مشتّتاً يدمره العنف والخلل السياسي

طائرات اميركية تجلي احدى القواعد التي سلمتها للجيش العراقي... أ.ف.ب

□ عن: نيويورك تايمز

بعد ما يقارب التسع سنوات أزهقت خلالها الكثير من الأرواح وأنفقت فيها أموال طائلة، توشك حرب العراق على الانتهاء. حيث جرت مراسيم متواضعة في المطار قبل أيام من رحيل آخر القوات الأميركية إلى الكويت، لقد خرجوا كما دخلوا في ما اسماه المسؤولون بأكثر الحملات العسكرية دموية وطموحا منذ حرب فيتنام. بالنسبة للولايات المتحدة، فان الحرب تترك إرثا مضطربا وان ما تحقق لم يكن يوازي عدد القتلى والجرحى. هذا الصراع الطويل قد أضعف العراق وموارده، وأثار تساؤلات عن رغبة الاميركان في التورط في حروب مستقبلية بهذا الوزن. سيبقى العراقيون في بلد لا هو في حالة حرب ولا في حالة سلم. لقد تحسنت أوضاعه بشكل أو بآخر منذ عام ٢٠٠٧، لكنه يبقى بلداً مشتتاً يدمره العنف والخلل السياسي، بلداً على خطوط الطائفية، مستقبله بأيدي أبنائه. يقول الصحفي عماد رسن الكاتب في صحيفة الصباح الجديد "إنها النهاية بالنسبة للأميركان فقط، لا احد يعلم ما إذا كانت الحرب ستنتهي بالنسبة للعراقيين أم لا". سيحاول العراق أن يجد مكانه في منطقة تعج بها الثورات وان يدير شؤونه مع إيران التي ستحاول توسيع نفوذها ثقافيا واقتصاديا من خلال الفراغ الذي سيتركه الجيش الأميركي. وبينما يقلق المسؤولون الأميركان من العلاقات السياسية الوثيقة بين القيادة العراقية وإيران، فان الصورة الأعمق هي الاكثر دقة. فالعراقيون يشتكون من السلع الاستهلاكية الإيرانية غير المطابقة للمواصفات –من الحليب والأجبان رديئة الجودة– ومن الدور الخطير للمليشيات المدعومة من إيران والتي قتلت هذا العام الكثير من الجنود الاميركان. التنافس الإيراني غالبا ما يظهر في مدينة النجف الأشرف التي تتركز فيها السلطات الدينية العراقية. مؤخرا قامت إيران بتعيين احد رجال الدين البارزين التابعين لها في مدينة النجف، مما أثار المخاوف من أنها تحاول نشر حكمها الديني في العراق. من جانب آخر ذكر التيار الصدري بان الدبلوماسيين الأميركان المتبقين سيكونون لعبة جميلة بيد رجاله المسلحين. يواجه العراق العديد من المشاكل المحيرة التي فشل الأميركان في حلها والتي تمتد من كيفية تقسيم ثروة البلاد النفطية إلى المصالحة الطائفية الى تأسيس نظام عدلي نزيه.

يقول عادل عبدالمهدي النائب السابق لرئيس الجمهورية وهو يصف عملية المصالحة السياسية بين الفصائل الرئيسية الثلاثة في العراق "نحن جامدون في مكاننا والأمور مصابة بالشلل، نحن نسير من سيئ إلى أسوأ". عدد كبير من العراقيين لا يصدقون أن الاميركان سيغادرون فعلا نتيجة لعقلية التآمر التي تطورت عبر السنين في ظل دكتاتورية صدام حسين القمعية العنيفة. بعد انسحابها من العراق نهاية هذا الشهر، فان القوات الأميركية ستخلف وراءها بلدا مضطربا سياسيا وضعيفا، معرضا للانزلاق إلى حرب طائفية سبق أن قتلت الآلاف في ٢٠٠٦ و٢٠٠٧.

لقد اشرف رئيس الوزراء نوري المالكي على توحيد قوات الجيش، إلا أن حكومته ليس فيها الكثير من التمثيل: فمعظمها مؤلفة من الإسلاميين المؤيدين لإيران. كما تم تهميش القائمة العراقية العلمانية التي فازت في الانتخابات البرلمانية في آذار ٢٠١٠. هذه الحكومة الإسلامية لا تبشر بخير فيما يتعلق بمستقبل البلاد. ولسوء الحظ فان هذه الحكومة كانت نتاجا مباشرا للتصور الأميركي المضلل عن العراق منذ اجتياحه عام ٢٠٠٣.

هذه السياسة المعيبة كانت أكثر أهمية، في رسم شكل العراق، من حجم القوة الأصلية التي اجتاحته، فضيحة سجن ابو غريب عام ٢٠٠٤ أو زيادة الزخم عام ٢٠٠٧، ويقع اللوم على هذه السياسة في الوضع الخطير الذي تترك فيه الولايات المتحدة العراق اليوم. في تسعينات القرن الماضي، تصورت أميركا عراق ما بعد صدام على انه سيكون اتحادا فيدراليا من العرب والكرد. التغير المصيري في التفكير الأميركي جاء عام ٢٠٠٢ عندما كانت إدارة بوش تتهيأ للحرب. انقلب العراقيون أنفسهم على هذا النظام. فبعد الصراع الطائفي عامي ٢٠٠٦ و٢٠٠٧، أعاد العراقيون اكتشاف القومية. وفرت إدامة الزخم الأميركي والنقد المتنامي للدستور الجديد البيئة المناسبة للمالكي للظهور عام ٢٠٠٩ كزعيم وطني حاز على احترام كل الطوائف. إلا انه في أيار ٢٠٠٩، ومع وجود الرئيس اوباما في السلطة، عاد الإسلاميون الشيعة –الذين همشهم المالكي في الانتخابات المحلية– وتجمعوا مرة أخرى في طهران، وكان هدفهم تحالفا خالصا يحتضن حتى المالكي نفسه. وصارت الأولوية بالنسبة لهم تصفية المسؤولين المرتبطين بالحكومة السابقة بما يعرف باجتثاث البعث. في ذلك الوقت كانت واشنطن تغض بصرها عما يجري، بعد ان كان أداؤه ضعيفا في الانتخابات البرلمانية عام ٢٠١٠، تبنى المالكي برنامجا طائفيا من اجل كسب دورة ثانية كرئيس للحكومة. الا ان مسؤولي ادارة بوش فشلوا في ملاحظة التغيير الذي طرأ على المالكي، ولم يغتنموا الفرصة لإنقاذ المالكي من حافة الطائفية عن طريق التحالف مع القائمة العراقية، بل قاموا بتشكيل حكومة مشاركة السلطة في كانون الأول ٢٠١٠. السبب الرئيسي في عدم منح المالكي ضمانات لبقاء القوات الأميركية بعد ٢٠١١، هو تمسكه بإرضاء حلفائه. نتيجة لذلك فقد أصبح رهينة لدوافع الإسلاميين المؤيدين لإيران. حكومته الحالية منتفخة جدا وضعيفة لا يمكنها تطوير سياسات متينة أو إبعاد النفوذ الإيراني. من خلال نظر المسؤولين الاميركان إلى المالكي باعتباره يمثل طائفة وليس باعتباره عربيا عراقيا، فقد تغاضوا عن الفرص التي توفرت سابقا لكنها ذهبت الآن. ويعود الفضل لسياساتهم المعيبة في أن العراق الذي يتركونه اليوم هو اقرب إلى بلد يائس منقسم منه إلى بلد مليء بالتفاؤل.

■ ترجمة المدى

كلمات عارية

■ شاكر الانباري

أسوأ مدينة للعيش

قبل أيام زرت بيت المعماري العراقي قحطان المدفعي، وفي نيتي إجراء حوار معه حول معالم بغداد وتجربته في التصميم، التجربة التي بدأت منذ الخمسينيات ولم تنته حتى اليوم. وكنت في الطريق أقرأ في الجريدة الخبر الذي يقول إن بغداد هي الأسوأ للعيش من بين مدن العالم. ليس من السهل العثور على بيته، الواقع في شارع المغرب، وسط بغداد. الباب الحديدي الصغير، يختفي وراء صخرة عملاقة عليها آثار نحت قديم، وخلف الصخرة قطرة حجرية زرقاء لها بعد صوفي. لكن ليس الباب وحده الذي يصعب العثور عليه، البيت أيضاً، إذ تخفيه عن الأنظار محال عديدة متناثرة أمامه، يطغي على كل ذلك ضجيج السيارات، ونداءات لصبية يلاحقون الحمام الداجن وهو يطير في سماء بغداد. وهذا ما يعطي الانطباع أن بيت قحطان المدفعي، أشهر معماريي بغداد، قد فات أوانه. العاصمة تعيش في زمن آخر. وتعيش إيقاعا يختلف عن ذلك الذي خبره المدفعي منذ الخمسينيات وحتى الآن.

تغيّرت بغداد كثيرا، وكذلك تغير المدفعي بعد أن عبر الثمانين من العمر. الحقيقة التي لا تخفى هي إن الدخول من ذلك الباب الصغير، دخول إلى تاريخ بغداد المعاصرة، هويتها، وروحها وتاريخها القريب. الحديقة الأمامية تصنع حاجزا بين ضجيج الشارع وهدوء البيت بواجهته الزجاجية وممراته الضيقة. الرجل الضخم، بملابسه العادية، ترتسم على وجهه دائما ابتسامة صغيرة، عادة ما تكون أشبه بعتبة دخول إلى المكان. الأبهاء والصالات مزينة بلوحات لرواد الحداثة التشكيلية في العراق كنزيهة سليم وشاكر حسن آل سعيد وجواد سليم، ويمتلك المدفعي لوحات رسمها هو نفسه خلال سنواته الماضية وتجاوز عددها الثمانين لوحة، في حين تكتظ المكتبة بمئات الكتب.

الرجل الثمانيني الذي ما زال منتصب القامة، ورغم انه يمشي بهدوء إلا انه اعتاد على ان يجلس على كرسي مكتبه يصمم المشاريع، ويبتكر الأشكال. مشاريعه المحفوظة في الأرشيف لم ينفذ منها سوى ثلاثين بالمئة كما اخبرني، إلا انه بقي، وطوال خمسين سنة، علما من أعلام العمارة الحديثة. قحطان لا يشعر أن بغداد أصبحت هي الأسوأ للعيش، فمحيط حركته اقتصرت على المكتب، والحديقة الصغيرة، وضوضاء شارع المغرب. وأحيانا قسم الهندسة المعمارية في جامعة بغداد. أرشيفه كله، الذي يحتوي على مخططات ومشاريع وكتب وسلايدات وصور قدمه إلى جامعة بغداد، وقسمه المفضل المعماري، لكي تستفيد منه الأجيال الصاعدة. الأجيال التي لم تعد تذكره إلا فيما ندر. كما إن القسم ذاته يقوم بتأليف كتاب عنه، وهذا يمنحه حسب ما قال، راحة نفسية كبيرة. لكنه اليوم، وكما أكد، يشعر وكأن الحياة تضيق عليه، والعمر له حقوقه على الجسد. طوال ثلاث جلسات مع المدفعي ظل خلالها دائب الحديث عن بغداد وأيامها الخوالي. فسّرت هوسه بهذه المدينة انه يعشقها بشكل لا يمكن لشخص مثلي الوصول إليه. وهذا ربما ما جعل المدفعي يبكي وهو يحدثني عن أحوال بغداد في الوقت الحاضر، بغداد التي لم يعد يعرفها على رغم انه من مهندسيها الأوائل. وهو الأمر الذي يفسر، قليلا، السبب الذي جعل من بغداد أسوأ عاصمة للعيش من بين كل العواصم.

أليس من حق معماري بغداد أن يبكي، إذن، على حالها؟

التقرير الامني

كتلة الأحرار: أيادٍ خفيّة على مستوى عالٍ تقوم بتهريب السجناء

اعتقال ٢٥ شخصا بينهم ١٤ مطلوبا بتهمة الإرهاب

قال النائب عن كتلة الأحرار التابعة للتيار الصدري حسين غيلان إن "هناك أيادي خفية وعلى مستوى عال تقوم بتهريب السجناء".

وأضاف غيلان لوكالة كل العراق أن "هناك من هو خارج السجون يقوم بتهريب المحكومين"، مشيرا إلى انه "ينبغي وجود أماكن مناسبة لحماية هؤلاء المحكومين". وكان عدد من السجناء من بينهم قاتل المثنى السابق محمد علي الحساني قد تمكنوا من الهروب أمس الأول من أحد السجون التابعة لوزارة العدل في بغداد.

تفتيش العجلات في احدى النقاط الامنية... أ.ف.ب

□ بغداد / متابعة المدى

من جهته اتهم رئيس المجلس عبد اللطيف الحساني جهات لم يسمها في وزارة العدل بالوقوف وراء عملية هروب السجناء، وقال "إن هناك تواطئاً واضحاً من قبل جهات تعمل في وزارة العدل في عملية تهريب السجناء التابعين للمحافظة من بينهم قاتل المحافظ السابق محمد علي الحساني، كونها تتحمل المسؤولية المباشرة عن أمن السجناء والتحفظ عليهم، كما أن هناك جهات سياسية في الحكومة متورطة في العملية".

وعلى المستوى الأمني شهدت البلاد حوادث متفرقة فقد أفاد مصدر في شرطة محافظة صلاح الدين أمس بأن ٢٥ شخصاً بينهم ١٤ مطلوباً بتهمة "الإرهاب" اعتقلوا بعملية أمنية جنوب تكريت على خلفية العثور على ثلاث جثث تعود لموظفين حكوميين.

وقال المصدر في حديث لوكالة السومرية نيوز إن "قوة من شرطة صلاح الدين، نفذت ليل أمس الأول، عملية دهم وتفتيش في منطقة البو صليبي التابعة لناحية الضلوعية جنوب تكريت، أسفرت عن اعتقال ٢٥ شخصاً بينهم ١٤ مطلوباً بتهمة الإرهاب"، مبيناً أن "العملية جاءت على خلفية العثور على ثلاث جثث تعود لموظفين حكوميين جنوب تكريت". وأضاف المصدر، الذي طلب عدم الكشف عن اسمه، إن "العملية استندت إلى معلومات استخبارية دقيقة"، مشيراً إلى أن "القوة نقلت المعتقلين إلى مركز امني للتحقيق معهم".

وشهدت صلاح الدين أمس الأول، العثور على ثلاث جثث تعود لموظفين في وزارة الموارد المائية قتلوا رمياً بالرصاص جنوب تكريت بعد اختطافهم الجمعة الماضي، فيما تم اعتقال أربعة أشخاص بينهم قيادي في الصحوة يشتبه بانتمائهم للجماعات المسلحة خلال عملية أمنية نفذتها في قضاء الضلوعية جنوب تكريت.

وفي السياق ذاته أعلنت مديرية شرطة الاقضية والنواحي بمحافظة كركوك أمس عن اعتقال عنصر بتنظيم أنصار الإسلام متورط بتوزيع منشورات تهدد باستهداف الأجهزة الأمنية في كركوك.

وقال مدير شرطة المديرية العميد سرحد قادر في حديث لوكالة السومرية نيوز إن "قوة تابعة للمديرية نفذت، صباح أمس، عملية دهم وتفتيش في حي العروبة قرب علوة بين الأغنام، جنوب كركوك، أسفرت عن اعتقال عنصر من تنظيم جماعة أنصار الإسلام"، مبينا أن "المعتقل متورط بالترويج للتنظيم عن طريق نشر منشورات تحريضية ضد عناصر الأجهزة الأمنية".

وأضاف قادر أن "العملية نفذت على خلفية معلومات استخبارية دقيقة"، مشيرا إلى أنه "تمت مصادرة من منشورات تحريضية تابعة للتنظيم، خلال العملية، فيما نقل المعتقل إلى مركز أمني وأخضع للتحقيق".

وشهدت كركوك، أمس الأول، إصابة مدير استخبارات شرطة قضاء الحويجة السابق بانفجار عبوة جنوب كركوك وإصابة ضابط في الجيش العراقي برتبة ملازم أول وزوجته بانفجار عبوة لاصقة بسيارته في المنطقة نفسه.

وفي ديالى أفاد مصدر أمس بأنه تم العثور على جثة مطلوب بتهمة "الإرهاب" قضى رمياً بالرصاص شرق ديالى.

وقال المصدر في حديث لوكالة السومرية نيوز إن "قوة من الشرطة عثرت، ظهر أمس، على جثة تعود لمطلوب وفقاً للمادة الرابعة من قانون مكافحة الإرهاب مرمية قرب بستان زراعي في منطقة السوامرة"، مبيناً أنه "بدت عليها آثار طلقات نارية في الرأس والصدر".

وأضاف المصدر الذي طلب عدم الكشف عن اسمه، أن "القوة نقلت الجثة إلى دائرة الطب العدلي، وفتحت تحقيقاً لمعرفة ملابسات الحادث والجهة التي تقف وراءه".

وتنص المادة أربعة من قانون مكافحة الإرهاب لسنة ٢٠٠٥ على أن من الأعمال التي تعد إرهابية هو العمل بالعنف والتهديد على إثارة فتنة طائفية أو حرب أهلية أو اقتتال طائفي وذلك بتسليح المواطنين أو حملهم على تسليح بعضهم لبعض وبالتحريض أو التمويل.

■ الساعدي ينتقد تجاهل الحكومة منظومة الرادارات

اتهم النائب المستقل، عضو لجنة النزاهة في مجلس النواب، صباح الساعدي الحكومة بـ "الجهل والفساد" لعدم اهتمامها بمنظومة الإنذار والمراقبة خلال السنوات التي تلت توقيع معاهدات الانسحاب الأميركي من العراق قبل ثلاث سنوات. وقال الساعدي في تصريحات صحفية أمس إن "منظومة الإنذار والمراقبة هي أهم منظومة في الدفاع الجوي وان عدم توفيرها خلال الفترة الماضية يعني أن الحكومة كانت جاهلة، بالإضافة إلى أن الحكومة كانت تتجه الى عقد صفقات شراء الطائرات المقاتلة والهليكوبترات لان أسعارها كبيرة وفيها فساد". وأضاف أن "عدم اتجاه الحكومة إلى شراء الرادارات يعود لقلة أسعارها وان كل عشرة رادارات لا تعادل سعر طائرة واحدة وبالتالي فان نسبة السرقة والفساد قليلة"، على حد تعبيره.

■ الصدريون يسلّمون الأمم المتحدة ميثاقهم

سلم النائب عن كتلة الأحرار رافع عبد الجبار وفدا من بعثة الأمم المتحدة في العراق "يونامي" دعوة زعيم التيار الصدري مقتدى الصدر ميثاق الشرف الوطني.

وقال بيان لمكتب الصدر انه "جرى خلال اللقاء الذي تم عند استقبال الوفد التباحث بين الجانبين حول الوضع السياسي في العراق والعلاقات الخارجية الدولية والإقليمية وتم التطرق لقضية سوريا وحساسية الوضع السوري وما يجري من أحداث وأثرها على الوضع الأمني العراقي.

وبيّن النائب مبررات امتناع العراق وتحفظه على قرارات الجامعة العربية بحق سوريا.

وأضاف البيان أن وفد بعثة الأمم المتحدة من جانبه "أبدى ارتياحه لهذه المبادرة باعتبار أن العراق هو من عليه أن ينهض بذاته ويكون له خطاب موحد تجاه التداعيات السياسية والصراعات الدولية الموجودة في المنطقة".

■ تظاهرات التحرير تطالب بغلق معسكر أشرف

تظاهر جمع كبير من المواطنين في ساحة التحرير وسط العاصمة بغداد للمطالبة بإخراج منظمة خلق الإيرانية من البلاد.

وحسب تقارير صحفية أمس، إن "المئات من المواطنين تظاهروا في ساحة التحرير لمطالبة الحكومة بتنفيذ قرارها القاضي بإخراج منظمة خلق الإيرانية من البلاد خلال نهاية العام الجاري". ورفع المتظاهرون الأعلام العراقية ولافتات تطالب الحكومة بعدم الرضوخ لدعوات دولية بتمديد بقاء منظمة خلق في البلاد لما بعد عام ٢٠١١، معتبرين بقاء هذه المنظمة في البلاد استهانة بدماء الأبرياء الذين قضوا على أيدي عناصر من تلك المنظمة.

وكان رئيس الوزراء نوري المالكي قد قال امس إن قرار إبعاد المنظمة عن العراق نهاية العام الحالي انه "لا رجعة فيه" واصفا المنظمة بـ "العصابة الإجرامية".